

دلالة التأكيد التأثيرية في عملية الإقناع: نماذج من خطاب الأربعين النووية

The Role of Emphatic Expression in Persuasive Discourse: Analytical Models from An-Nawawi, Forty Hadith

أ.د. صلاح الدين زرال

Pr. Salah El Ddine Zaral

جامعة محمد لين دباغين سطيف 2، الجزائر

salahzaral@gmail.com

أحلام هراة⁽¹⁾

Ahlem Herrada

جامعة محمد لين دباغين سطيف 2، الجزائر

ah.herrada@univ-setif2.dz

ملخص

معلومات حول المقال

تاريخ الاستلام 2025-11-09

تاريخ القبول 2026-05-03

الكلمات المفتاحية

التأكيد

التأثير

الإقناع

خطاب الأربعين النووية

يهدف هذا المقال إلى معالجة أسلوب التأكيد في خطاب الأربعين النووية من منظور يتجاوز التناول اللغوي الشكلي إلى المقاربة الدلالية التأثيرية، باعتباره ظاهرة لغوية حجاجية تسهم في تشكيل بنية الخطاب النبوي ومقاصده الإقناعية، فأسلوب التأكيد في الحديث النبوي ليس مجرد وسيلة لتقوية القول أو تثبيت المعنى، بل هو آلية تبليغية ذات حمولة دلالية ونفسية تمكن الخطاب من النفاذ إلى وجدان المتلقي وعقله معاً، ومن خلال هذه الآلية، تتحقق البلاغة النبوية في أسى صورها، حيث تمتزج جمالية التعبير بفاعلية الإقناع، فينسب القول في نفس السامع بيسر وجلال، محققاً أثره المقصود في توجيه الفكر والسلوك. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد التأثيرية لهذا الأسلوب من خلال تحليل نماذج مختارة من الأحاديث التي جمعها الإمام النووي في كتابه الأربعين النووية، تلك الأحاديث التي عدها العلماء من جوامع الكلم لما احتوته من معاني تشريعية وتربوية وأخلاقية تلخص مقاصد الدين وروحه، وتبرز القراءة التحليلية أن التأكيد في الخطاب النبوي يقوم على توليفة دقيقة من الوسائل اللغوية والبلاغية، كاللفظ، والتكرار، وصيغ القسم، وتنوع أدوات التوكيد، وهي جميعها تعمل في تناغم دقيق لتمكين المعنى في الذهن وترسيخه في الوجدان. ومن هذا المنطلق، يتضح أن الخطاب النبوي يعتمد على منظومة من الأساليب الإقناعية التي تجمع بين البيان والبرهان، وتستثمر الطاقات التعبيرية في خدمة المقصد التوجيهي للدعوة، فالتأكيد في الأحاديث النبوية ليس غاية بل وسيلة لتحقيق غاية أسى، هي بناء الوعي وترسيخ القيم وتحريك الضمير نحو الفعل الصالح. ومن ثم، تكشف هذه الدراسة عن التكامل بين اللغة والفكر في الخطاب النبوي، وعن كيفية تحول الأسلوب إلى قوة مؤثرة في النفس الإنسانية تدفعها إلى التصديق والعمل بما جاء به القول النبوي من حق وهدى.

مقدمة

ومن بين تلك الأساليب التي تجلت فيها قدرة الخطاب النبوي على الإقناع والتأثير، يبرز أسلوب التأكيد بوصفه من أنجع الوسائل في ترسيخ المعنى في نفس المتلقي. فجاءت هذه الدراسة تتناول أسلوب التأكيد -في بعده الحجاجي- غاية اتّخذها المبلّغ سبيلاً للإقناع، في نماذج مختارة من المتن الذي جمعه النووي من أحاديث عدت جوامع الكلم في عرف الكثير من أهل العلم، لما احتوت عليه

من بلاغة النبي (صلى الله عليه وسلم) أن خاطب الناس على قدر مداركهم، وبالوسائل التي تحرك مشاعرهم وتجذبهم للخير والرشاد، وقد أفحم النبي (صلى الله عليه وسلم) العرب المتكلمين بها وفحولها بقوة أسلوبه، وروعة بيانه، ولذا تنوعت أساليب الخطاب في الحديث النبوي الشريف، وتعددت طرائق التعبير فيه تبعاً لمقاصده البلاغية والتربوية،

من أبرز الأحكام التشريعية التي تخصّ العبادات والمعاملات والتي تعدّ من ركائز الدين ودعائمه.

ومن هنا تطرح الدراسة الإشكالية الآتية: كيف تجسّدت دلالة التأكيد التأثيرية في الخطاب النبوي من خلال نماذج الأربعين النووية؟ وما الآليات البلاغية والحجاجية التي اعتمدها النبي (صلى الله عليه وسلم) في توظيف أسلوب التأكيد لتحقيق الإقناع والتأثير في المتلقي؟ ولقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي القائم على تحليل الخطاب، من خلال استقراء نماذج مختارة من أحاديث الأربعين النووية، للكشف عن مظاهر التأكيد وطرائق توظيفها البلاغي والحجائي في بناء الإقناع والتأثير في المتلقي.

1- نبذة عن الإمام النووي

هو يحيى بن شرف بن مري حسن بن حسين بن حزام النووي، أبو زكرياء محي الدين، ولد النووي في قرية نوى* من قرى حوران جنوبي دمشق، في شهر محرّم سنة 631هـ، ألقى الله في قلبه حب الدين والعلم، فحفظ كتاب الله وأخذ ينهل من العلم حتّى أصبح علامة في الفقه الشافعي والحديث واللغة، توفي النووي -رحمه الله- في شهر رجب سنة 676هـ.

للنوّوي منزلة عظيمة عرفها له علماء عصره، واعترف بها اللاحقون من خلال آثاره التي تركها؛ نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: شرح صحيح مسلم، الأذكار حلية الأبرار وشعار الأخيار، التّبيان في آداب حملة القرآن ومختصره، التحقيق، تهذيب الأسماء واللغات، التحرير في ألفاظ التّنبية، الرّوضة في مختصر شرح الرّافعي، رياض الصّالحين، المنهاج في الفقه، وأحاديث الأربعين النووية (ناظم، قواعد وفوائد من الأربعين النووية، 2000م).

2- التعريف بـ: متن الأربعين النووية

هي مجموعة من الأحاديث المروية عن الرّسول (صلى الله عليه وسلّم)؛ تشتمل على أصول الشّريعة وفروعها وآدابها وأخلاقها، ووسائلها ومقاصدها، رتّبها وجمعها الإمام يحيى بن شرف الدّين النّوّوي -حسب ما أورده ابن رجب الحنبلي- في مجلس أملاه الشّيخ أبو عمرو عثمان بن عبد الرّحمن بن الصّلاح سمّاه الأحاديث الكلّية؛ لأنّها من جوامع كلمه (صلى الله عليه وسلّم)، جمع فيه جملة الأحاديث، التي يقال عنها: «إنّ مدار الإسلام عليها»، وما كان في معناها من الكلمات

الجامعة الوجيزة بلغت ستّة وعشرون حديثاً، ثمّ أخذ الإمام النّوّوي هذه الأحاديث وزاد عليها ستّة عشر حديثاً لتكتمل إلى اثنين وأربعين حديثاً، وسوّى كتابه بالأربعين (الحنبلي، 2000م)؛ يقول الشّيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- عن الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام أنّ الإمام النّوّوي قد ألّف مؤلّفات كثيرة من أحسنها هذا الكتاب (الأربعون النّوّوية) وهي ليست أربعين، بل هي اثنان وأربعون، ولكن العرب يحذفون الكسر في الأعداد، فيقولون: أربعون، وإن زاد واحداً أو اثنين أو نقص واحداً أو اثنين (العثيمين، 2004م)؛ أي من باب تسمية الكل باسم الجزء؛ فلا يقال قد اشتمل على اثنين وأربعين حديثاً، وإنّ السّابع والعشرين منها مشتمل على حديثين لاشتغالهما على معنى واحد، وإنّ المراد الكتاب المسوّى بالأربعين فتكون الأربعين علماً على المتن كلّه فيشمله جميع ما ذكر (جبعان، بحث يقع في 57 صفحة يضمّ أربعة فصول، دت)، والتي ينبغي لطالب العلم أن يحفظها؛ لأنّها منتخبة من أحاديث عديدة، وفي أبواب متفرّقة، بخلاف غيرها من المؤلّفات (العثيمين، 2004م).

وقد سئل الإمام النّوّوي عن سبب جمعه للأربعين النّوّوية فكشف عن سبب التّأليف قائلاً: «من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدّين وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الرّهد، وبعضهم في الخطب، وكلّها مقاصد صالحة، رضي الله عن قاصديها، وقد رأيت جمع أربعين أهمّ من هذا كلّه، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك، وكلّ حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدّين، وقد وصف العلماء هذا المتن بأنّ مدار الإسلام عليه، ولذا ينبغي على كلّ راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث، لما اشتملت عليه من المهمات، واحتوت عليه من التّنبية على جميع الطّاعات» (ناظم، 2000م).

ولعلّ الذي دفعه أيضاً لتأليفها وجمعها إشعار الإسلام بها، وورود نص منسوب إلى النّبي (صلى الله عليه وسلّم) يحثّ على حفظها، منها على عظيم جزاء سيناله من حفظها، وهو قوله (صلى الله عليه وسلّم): «من حفظ على أمّتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله عزّ وجلّ يوم القيامة فقيها عالماً» (دقيق، 1403هـ). وله روايات أخرى كلّها تجعل النّفس مقبلة غير متردّدة لحفظ الأربعين النّوّوية.

ولقد اعتمد النّوّوي في جمع الأربعين النّوّوية على منهج تحرّى

اللغوية والبلاغية والحجاجية، أسهمت في ربط أوصال المعاني وتمكينها في أذهان المتلقين، لما لها من طاقات تأثيرية يقصد إليها الخطاب من وراء توظيفها.

4- البلاغة والتداولية؛ من التباين المعرفي إلى التكامل التحليلي في النص الديني

تعدّ العلاقة بين البلاغة العربية والتداولية (pragmatics) علاقة تقاطع وتكامل تتجاوز بذلك الحدود اللسانية الضيقة إلى آفاق فلسفية ومعرفية رحبة؛ فمن الناحية المعرفية، تنطلق البلاغة الكلاسيكية من فلسفة بيانية معيارية تحكمها مقولة «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»، وتهدف أساساً إلى الكشف عن وجوه الإعجاز الجمالي والقوة الإقناعية في النص (الرحمن ط، 2000م)، وفي المقابل، نجد أنّ التداولية تنحدر من صلب الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة العادية (أوستن وسيرل)، حيث تتحوّل اللغة من مجرد أداة لنقل الأفكار إلى وسيلة لإنجاز الأفعال (acts)، فهي تدرس المعنى في حيّز الاستعمال لا في حيّز التجريد.

وعلى الرغم من اختلاف الخلفيات النظرية، حيث تستند التداولية إلى مرجعيات لسانية وصفية حديثة تبحث في «ما وراء المعنى»، إلّا أنّ هناك نقاط اتفاق عملية تسمح باستثمار آليات التداولية في فهم النص الديني دون الاتيهان لخلفياتها الفلسفية الغربية التي قد تتقاطع مع قدسية النص، ومن أبرز هذه النقاط: العناية بالسياق المقامي، ومبدأ التعاون الحواري، والقوة الإنجازية للخطاب (صحراوي، 2005م).

ويتجلى هذا التكامل عند تطبيق أدوات التداولية على متن الأربعين النووية، وتحديدًا في مسألة «تأكيد الخطاب»، ففي حديث «إنّما الأعمال بالنيّات»، نجد أنّ أداة الحصر «إنّما» لا تؤدي وظيفة بلاغية في «القصر» فحسب، بل تمارس وفق المنظور التداولي فعلاً إنجازياً توجيهياً يهدف إلى إلزام المكلف بمطابقة باطنه لظاهره، ممّا يعزّز ميثاق التواصل بين المشرّع والمتلقي، ومثل ذلك نجد في حديث جبريل (عليه السلام) حول «مراتب الدين» أنّ بنية السؤال والجواب تعمل كمؤشر إنجازي يضاعف من قوة التأكيد؛ فالسؤال هنا ليس طلباً للمجهول بل هو استراتيجية تداولية لجذب الانتباه وتثبيت الأحكام الإيمانية في ذهن السامعين كحقائق يقينية لا تقبل الشك (دقيق، 1403هـ).

ونلفي في هذا السياق أنّ هذا الدمج المنهجي يسمح للباحث

فيه الصّحة والدّقة فقال:» وألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ومعظمها في صحيح البخاري ومسلم، وأذكرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها، ويعم الانتفاع بها -إن شاء الله- ثم أتبعها بباب في ضبط خفي ألفاظها» (جبعان، بحث يقع في 57 صفحة يضمّ أربعة فصول، دت)، ولكثرة ما فيها من الفوائد والفضائل التي تفيد الناس، اهتّم كثير من العلماء بشرحها شرحاً وافياً، تراوحت هذه الشّروحات بين المطوّل والمختصر، ولهذا ينبغي على كلّ مسلم حفظها والحرص على الاقتداء بها، فهي نور يضيء درب حياته، ويهدّب سلوكاته، ويسدّد قوله وفعله لما يرضي الله عزّ وجلّ.

3- البلاغة النبوية

اجتمعت الفصاحة والبلاغة في قول أفصح من نطق بالضاد؛ فبلاغة الرسول (صلى الله عليه وسلّم)، تجسّدت في التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة؛ فصدرت منه حكم خالداً، وعبارات في الأدب، كان لها شأن بعيد، وأثر حميد في تربية النفوس وإصلاحها، وتقويم الأخلاق وتهذيبها (الخولي، 2004م).

وعن البلاغة النبوية يقول الرّافعي:» هي البلاغة الإنسانية التي جسّدت الأفكار لأيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الأحكام كأنّها مصنوعة، ولم يتكلّف لها وهي على السّهولة بعيدة ممنوعة... ألفاظ النبوة يعمرها قلب متّصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي وإن لم تكن من الوحي ولكنّها جاءت من سبيله، وإن يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول، حتّى ليس منها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتّى ليس فيها كلمة مفصولة، وكأنّها هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلّم، وإنّما هي في سموّها وإجادتها مظهر من خواطر النّبي (صلى الله عليه وسلّم)... إن خرجت في الموعظة قلت: أنين من فؤاد مقروح، وإن راعت بالحكمة قلت: صورة بشرية من الرّوح في منزع يلين فينفر بالدموع، ويشتدّ فينزو بالدماء، وإذا أراك القرآن أنّه خطاب السّماء للأرض، أراك هذا أنّه كلام الأرض بعد السّماء» (الرّافعي، 2009م).

ولمّا كانت تلك هي البلاغة النبوية في أرقى درجات البيان، فلقد شكّل خطاب النّبي (صلى الله عليه وسلّم) - على مرّ الزّمان وفي مختلف الأمكنة - وحدة تواصلية بلاغية ترنو إلى إقناع النّاس كافّة معتمداً في ذلك على معوليات تنوّعت بين

بتجاوز التحليل اللفظي الساكن إلى فهم حركية الخطاب النبوي وكيفية صناعته للأثر واليقين في نفوس المتلقين.

5- البلاغة والحجاج

إنَّ الحديث عن البلاغة وعلومها عامّة، والبلاغة النبوية خاصة، لا ينفكّ عنه حضور الحجاج بآلياته وتقنياته المتنوّعة، وفي هذا المقام لنا أن نوضّح بعضاً من تلك العلاقة بينهما، غير أنّ محاولة الكشف عن العلاقة التي تربط بين البلاغة والحجاج، تقتضي الأخذ بالمحاذير المنهجية.

ولا شك في أنّ البلاغة هي أحد العلوم المهمة بالمعنى، وهي على علاقة وثيقة بالحجاج؛ لأنّها ترمي إلى توصيل غاية إلى المتلقي قصد التأثير فيه وتقديم الحجج الهادفة لإقناعه، فالْبلاغة والحجاج متلازمان في أي خطاب يرمي إلى الإقناع، ويمكن القول بأنّ وراء كلّ حجاج بلاغة، والعكس صحيح؛ لأنّ مدار ذلك كلّهُ هو الإغراء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع (علوي، 2010م).

ومن هذا المنطلق، فإنّ التداخل بين البلاغة والحجاج لا يقتصر على الجانب النظري فحسب، بل يمتدّ إلى البنية العميقة للخطاب ذاته، حيث تتكامل الوسائل البلاغية مع الآليات الحجاجية لتحقيق التأثير المطلوب في المتلقي، فيتشكّل بذلك نسيج لغوي يجمع بين جمال العبارة وقوّة الحجة.

وحري بالبيان أنّ الحجاج ليس علماً أو فناً يوازي البلاغة، بل هو مجموعة من الأساليب والأدوات يتمّ اقتراضها من البلاغة ومن غيرها، ولذلك يذهب بعض الدّارسين إلى أنّه من اليسير الحديث عن اندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب، ولما كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكّد والمتوقّع، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس (الحباشة، 2008م).

وأمكن القول في هذا السياق إنّ البلاغة قد عالجت في أغلب الأحيان خطابات - على تنوعها - يحكمها الوعي والقصد، وهذا الذي أقام على دعائمه الخطاب الحجاجي بنيته الإقناعية؛ كونه يقوم على إيصال المعنى المقصود إلى ذهن السّامع، ومراعاة أحوال المخاطبين، ومراعاة المقال لمقاماته؛ فإنّه يرقى بذلك إلى استمالة السّامع والإفهام ومن ثمّة الإقناع والتأثير، وهو الأمر الذي يتغيّاه كلّ خطاب.

ولما كان الحجاج تقنية يعتمد إليها المرسل في إقناع المتلقي والتأثير فيه، فإنّه يجد في البلاغة من الآليات التي تسانده في سبيله إلى الإفهام والإقناع، بما توقّره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقّة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلّم تحقيق غايته في الخطاب؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معيّن، ومن ثمّة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدّها (دريدي، 2008م). وعليه، يتجلّى التكامل بين البلاغة والحجاج في قدرة الخطاب على الجمع بين متعة البيان وفعالية الإقناع، إذ تتحوّل البلاغة من مجرد تزيين للفظ إلى أداة فاعلة في بناء الحجة، ويتحوّل الحجاج من منطقٍ عقليّ جافّ إلى ممارسة لغوية نابضة تؤثر في الفكر والوجدان معاً.

وخلاصة القول إنّ الأساليب البلاغية قد يتمّ عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة)، بل تؤدي وظيفة إقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في سياق الحجاج)، ومن هنا يتبيّن أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوقّف على خاصية التحوّل لأداء أغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية، وإفادة أبعاد تداولية ... (الحباشة، 2008م)، ومفاد ذلك أنّ الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملية الإقناعية، ويسرّ على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشّعريّة ... (دريدي، 2008م)؛ أي لا مفرّ للحجاج من البلاغة، ولا استغناء للبلاغة عن تقنيات الحجاج، ولا سبيل إلى الإقناع في كثير من الأحيان دون إثارة وفعل في المتلقي، وهذا جوهر ما يُظهره خطاب النّبي صلى الله عليه وسلّم في نماذج الأربعين النووية؛ إذ أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلّم) لا يكتفي في الإقناع بفكرة أو مبدأ أو موقف، بالحجج- يبيّنّها ويعليّها، ولا بالعلاقات الحجاجية- يعقدها ويدقّقها-؛ بل يهتمّ بجوانب كثيرة في الخطاب تساعد على الإقناع دون أن تحقّقه منفردة، وتعضد الحجاج دون أن تؤسّسه؛ بل إنّها جوانب متنوّعة تلتقي جميعها في إحداث انفعال معيّن لدى المتلقي بفضلها يستجيب لفحوى الخطاب، ويمهّد لقبول نتائجه والتّسليم بها.

ولعلّ اعتماد الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) على الخطاب الحجاجي والبلاغي يعدّ استراتيجية لها بالغ الأثر في الإقناع

في خطاب الأربعين النبوية، يجد أنّ تلك الأنماط المختلفة لأسلوب التأكيد واردة بوفرة في الخطاب النبوي، وحضورها بمعدل مرة أو مرتين في الحديث الواحد منها، انتقينا الأوضح والأبين منها في التحليل.

ومن النماذج التي تضمنت التأكيد ما جاء بأسلوب التكرار نذكر:

عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (التنوير، كتاب الأربعين النبوية، 2007م).

نلاحظ أنّ التكرار في هذا الخطاب النبوي جاء على صورتين:

- تكرار اللفظ: ويتجلى في تكرار لفظة الهجرة؛ وفي هذا بيان واضح لمحاولة إقناع المخاطب بأنّ النية معيار لتصحيح الأعمال؛ أي التأكيد على ضرورة ربط الهجرة بالنية، ذلك أنّ نية المرء تسبق عمله.
 - تكرار الجمل: ويتمظهر في قوله: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». ونلفي إلى أنّ التكرار في هذا الخطاب يربط أوصال ثلاث مسائل تبرهن على مدى أهمية الهجرة والقصد فيها، على هذا النحو:
 - المسألة الأولى: الهجرة إلى الله ورسوله (العمرة أو الحج (...).
 - المسألة الثانية: الهجرة لدنيا يصيبها (التجارة ...).
 - المسألة الثالثة: الهجرة إلى امرأة ينكحها (الزواج).
- فالتكرار ههنا دلّ على أهمية القصد في الأعمال، وجاء المبلغ بنموذج للهجرة لتقريب المعنى وترسيخه في الأذهان، وفي هذا حتّ على ضرورة إخلاص النية في العمل، وأنّ اختلاف فضل الهجرة وثوابها يتوقف على اختلاف النوايا؛ إذ استهلّ الخطاب النبوي بأداة الحصر (إنّما) التي تحمل دلالة الإثبات والتأكيد تنبيهاً على وجوب تصحيح النية، إضافة إلى ذلك فقد صاحب الشرط لفظ الهجرة داخل هذا الخطاب في جملة التكرار، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يلي:
- إنّما (الحصر) وفي هذا تنبيه للمتلقيين على ضرورة تصحيح النية

والتأثير، وهذا الذي سيتّضح - فيما بعد - من خلال تحليل بعض النماذج التي استخدم فيها الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسلوب التأكيد بصورة مختلفة جسّدته كتنقية حجاجية بلاغية تستهدف استمالة النفوس.

6- التأكيد: (دلالاته التأثيرية وبلاغته الإقناعية)

ولما كانت للغة وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية محدّدة بواسطة بنية الأقوال اللغوية؛ فقد اشتملت اللغة الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج (الشّهري، 2004م)، يمكن الاعتماد عليها في فحص مختلف الأساليب والظواهر اللغوية البلاغية من منظور حجاجي، وتحليل أنماطها المختلفة، خاصة التي يعتمد عليها في الإقناع، ومن بين تلك الأساليب نورد أسلوب التأكيد موضوع الدراسة.

التأكيد لغة في التوكيد؛ وهو الإثبات والتّمكن (الرازي، 1973م)، يقول الزّمخشري: «وجدوى التّوكيد، أنّي إذا كرّرت فقد قرّرت المؤكّد، وما علق به في نفس السّامع، ومكنته في قلبه ...» (الزّمخشري، 1323هـ).

والتأكيد أسلوب يؤتى به لحاجة وله دواعيه ومراتبه (الزركشي، 1972م)؛ إذ إنّ الكلام لا يفي بالمرام إن لم يكن فيه توكيد، فهو إذن أسلوب تعبير مهم (حسين، 2007م)، لهذا عدّ من الأساليب البلاغية التي تجاوزت الجمالية الإنشائية لتؤدي وظيفة إقناعية، وأغراض تواصلية، وإنجاز مقاصد حجاجية، وإفادة أبعاد تداولية.

فالتأكيد يعدّ «من أدوات الحجاج السّاعية إلى إقناع المخاطبين بصدق المتكلم وصحّة الخبر، فكلمًا زادت قوّة التّوكيد كلّما افترض ذلك مضمرات معيّنة لدى المتكلم عن احتمال عدم تصديق أو تفاعل بعض شرائح المتلقيين مع الخبر» (التركي، 2002م). وعليه فالتأكيد ينهض بوظيفة حجاجية تتمثّل في إقناع المتلقي بالضوابط والأحكام الشرعية التي يحتويها خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في الأربعين النبوية.

كثيرا ما وردت أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) مراعية لمقتضى الحال، وأحوال المخاطبين، لهذا وظّف التأكيد في الخطاب النبوي بأنماط مختلفة؛ منها اللفظي ومنها المعنوي؛ فالتأكيد مرة يكون بالأداة ومرة يكون بغير الأداة، فيخرج إلى التكرار، وقد يأتي التأكيد أيضا بالقسم، وقد يعتمد المبلغ على صور بيانية كمؤكّدات معنوية وغير ذلك، والمتأمل

الأربعين النووية، 2007م). فهذا الحديث هو - بالدرجة الأولى - أصل في الآداب العامة؛ إذ يدل على أنّ من صفات المؤمن بالله واليوم الآخر، الذي يخاف الله ويتقيه، ويرجو أن يكون ناجيا في هذا اليوم، أنّ من صفاته: أنه يقول الخير أو ليصمت، وأنه يكرم الجار، وأنه يكرم الضيف.

والتكرار في هذا المقام لم يأت اعتباطا بل كونه من المنهات الأسلوبية الكفيلة بإيقاظ وعي المتلقي، واستنفاره لدرجة يضحى فيها المتلقي واقعا تحت سلطة التأثير الناتج عن المنهات التي تولدها الظاهرة اللغوية التي تتحول إلى شحن للمتلقى شحنا عاطفيا.

ولما كان - في منظومة اللغة العربية - لكل فعل شرط جوابه، فإن فعل الشرط فيه تأكيد على أنّ جوابه الذي أتى في شكل أوامر على هذا النحو: (فليقل خيرا أو ليصمت/ فليكرم جاره/ فليكرم ضيفه) له أهمية كبيرة باعتباره من الواجبات التي تدخل في صلب الإيمان بشكل عام دون أن ينحصر الأخير فيها ... ومن هنا تبين لنا أنّ ظاهرة التكرار في هذا الحديث كانت فعلا من المنهات؛ أي فيه نوع من جلب الانتباه، وإثارة اهتمام السامع لضمان نجاح الرسالة وإبلاغ الفكرة ليتحقق الفهم. وبناء على ما جاء في الحديث من أسلوب التأكيد الواقع في نموذج التكرار اللفظي يتضح لنا الأثر البليغ لهذا الأخير في الأسماع والأذهان، وما له من وقع في القلوب، الأمر الذي جعله رافدا مهما للحجاج، ومدى فصاحة النبي (صلى الله عليه وسلم) التي تظهر من خلال حسن الصياغة وإحلال اللفظ محلّه المناسب من الخطاب، فأكسب بذلك كلامه صلى الله عليه وسلم طاقة حجاجية إيجابية في التأثير والإقناع.

ومن صيغ التأكيد أيضا: التأكيد بالأداة «إنّ» التي تعدّ من أدوات تأكيد القول ودفع الإنكار؛ حيث تنهض بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقى وفرضها عليه؛ قصد ردّ إنكار المخاطب ودفع الشك.

ونجد أنّ كلّ خطاب نبويّ في الأربعين النووية إلّا وتضمّن أسلوب التأكيد بالأداة «إنّ» من ذلك ما ورد عن أبي عبد الله النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمورٌ مُشْتَبَهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحَيِّ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ،

• من هاجر إلى الله ورسوله؛ أي من قصد بالهجرة طاعة الله ورسوله (جملة الشرط) نال الأجر والثواب (جواب الشرط).

• من هاجر لنديا يصيبها أو امرأة ينكحها؛ أي من قصد بالهجرة التجارة أو الزواج أو غيرهما (جملة الشرط) نال ما أراد من تلك الهجرة (جواب الشرط).

ومن هنا فلكلّ فعل شرط وجوابه، وفي فعل الشرط تأكيد لفعل جواب الشرط؛ إذ إنّ توظيف الشرط في سياق هذا الحديث النبوي الشريف لم يكن اعتباطا، بل كونه أحد الطرق الحجاجية لغويا، وأهم وسائل الإقناع التي توظف عموما، فالشرط مبدأ من مبادئ التعليق كونه نحويا يعني تعليق أمر بأمر، وربط تحقيق قضية بقضية أخرى، وهو الشيء الذي يكسبه تلك القوة الطلبية العاملة على جعل الخطاب أكثر تماسكا من جهة وعلى تفعيل مهمة الإقناع من جهة أخرى.

وفي هذا المقام أمكن القول إنّ التكرار ليس هو ذلك التكرار المولّد للرتابة والملل، أو التكرار المولّد للخلل والهلالة في البناء، ولكنّه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام (العزوي، 2010م)، التي تؤدي عدّة وظائف خطابية في الإفهام وإثبات المعنى وتأكيده، فضلا عن الوظيفة الاتصالية الإقناعية، فالتكرار في الخطاب النبوي ليس ناجما عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنّما كان مقصودا متعمّدا جاء ليحمل جزءً من المعنى المراد، وكان وسيلة من وسائل الدّعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا وجد ضرورة لذلك (بدر الدين).

ففي تكرار لفظة (الهجرة) في المسائل السابقة الذكر مقاصد إقناعية، جعل المبلّغ من تكرارها حجة معتمدة للتأكيد سبيلا له للوصول إلى تلك المقاصد، وهذا ما يعرف بالاستراتيجية التوجيهية المعتمدة من طرف المبلّغ في خطابه.

نموذج آخر من أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) في الأربعين النووية والتي احتوت أسلوب التوكيد بالتكرار نورد ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ أَوْ لِيَصُمْتُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» (النووي، كتاب

ومن هنا فورود التأكيد بهذه الصيغة يشير إلى أن المبلغ لم يؤكد كلامه إلا لأنه وجد في المتلقين ما يدعوه إلى ذلك؛ إذ هناك من الناس من يتردد في تصنيف بعض أمور دينه ودينه في كونها من الحلال أو الحرام؛ فالدعوة ههنا دعائهم قائمة على اتباع الحلال والامتناع عن الحرام، وترك الشبهات فهي لا محالة موقعة في الحرام، فما شابه الحرام يقع في الحرام، والنتائج محكومة بالطريق الذي سيسلكه الناس ...

ولما اتسمت لغة النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوة الإقناع وبلاغة الوعظ، فقد زاحمت ألفاظه ومعانيه خاصة ضرب الأمثال كتقنية حجاجية في التأثير والإقناع؛ ونلمس ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه). فالغرض من ضرب المثل هو تقريب الفهم والتأثير في الوجدان؛ ذلك أنه الأقوم في الإقناع؛ إذ حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم يتأتى بضربه الأمثال المحسوسة لتبين بها المعاني المعقولة، وهذه عينها طريقة القرآن الكريم، قال الله تعالى: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» سورة العنكبوت: الآية 43.

فمن حسن التعليم أن يقوم المبلغ بتقريب الأشياء المعقولة بالأشياء المحسوسة، وهذا فيه بيان لمحاولة التأثير في الناس وذلك بسد كل ذريعة توصل إلى الحرام، فيجب أن تغلق جميعها لئلا يقعوا في الأشياء المحرمة (العثيمين، شرح الأربعين النووية، 2004م).

إن اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم على جملة المؤكّدات إنما الداعي له ما استلزمته المعاني لتزكية النفوس عن كلّ ما فيها من شبهات توقع صاحبها في المحذور، وإقناع العقول أن الحلال أبين وأوضح من أن تشوبه شبهات، وأن الشبهات هي بداية الطريق نحو الحرام، فضلا عن بلاغة تلك المؤكّدات وما أضفته من صبغة جمالية تحدث الأثر في النفس.

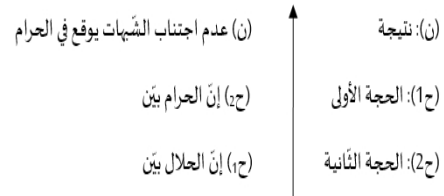
وفي ختام الحديث فكرة مفادها أن المدار في الصلاح والفساد كائن في القلب، فهو الأصل الذي عليه تقوم الأعمال في قوله: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، فهذه الجملة احتوت التنبيه والتوكيد معا (ألا وإن)؛ أي فيه حجة على الإنسان بأن يعنى بإصلاح قلبه، فسلامة القلب هي محط النجاة، وهي السبب في نجات الإنسان يوم لا ينفعه ماله ولا

ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (التووي، كتاب الأربعين النووية، 2007م).

من خلال الحديث نلاحظ أن توظيف الأداة «إن» بمعدل مرتين في الجملة الواحدة في قوله: إن الحلال بين وإن الحرام بين، وهذا يحمل دلالة ضمان التبليغ إلى المتلقين لما لأسلوب التوكيد من تأثير بالغ في نفوسهم، وتتضح ملامح الغاية الحجاجية من هذا الحديث من خلال تحليلنا للقضايا الثلاث التي وردت في مستهل الحديث على هذا النحو:

- الحلال بين؛ كل يعرفه (الصدق، البر، الطاعة ...).
- الحرام بين؛ كل يعرفه (الزنا، السرقة، الخمر ...).
- أمور مشتهات***؛ أي التي اختلف الناس في الحكم عليها (أهي حلال أم حرام؟).

فالتأكيد هنا يحمل الحجة التي تفضي إلى الاقتناع بنتيجة واحدة هي أن عدم اجتناب الشبهات يقع في الحرام، ويمكن التعبير عن ذلك باتباع المسار الحجاجي على هذا النحو في الشكل رقم 01:



إن توظيف أداة التوكيد «إن» لم يكن بداعي الإخبار، بل لتوجيه المتلقي إلى الوجهة التي رُسِمت له في الإقناع من قبل المبلغ؛ فهو، من خلال ذلك كله، يرمي إلى دلالات آخر أهم من الإخبار. إذ إن أدوات التوكيد في الخطاب، على حدّ تعبير عبد الله صولة، «شارات حجاجية؛ إذ تظهر في المنطوق لتعلن ضرورة عن وجود الضمني وراء ذلك المنطوق... الناجم عن التوكيد بـ«إن» و«أن» ومع اللام والقسم والقصر» (صولة، 2001م). فهذه الأدوات تجعل الكلام أكثر إقناعاً من خلال ما توقّره من روابط تؤدي إلى التأكيد والإثبات، فالغاية منها «لا تخفى في إظهار التأثير والإقناع في المتلقي، وهي غاية تداولية حجاجية في المقام الأول» (صاحب، 2010م)، ومن ثمّ، فإنّ إلغاء أداة التوكيد «إن» من الخطاب يجعله كلاماً يحمل إخباراً خالياً من أيّ طاقة حجاجية.

بنون.

ومن هنا يعدّ هذا الحديث قاعدة من أعظم قواعد الدين؛ لأنّه يحتوي على علوم الشريعة، ففيه الحلال واجتناب الحرام والإمسك عن الشّمات وأيضاً الاهتمام بشؤون القلب (التّووي، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة التّبوية، 1985م)، ويعدّ أيضاً التأكيد بالأداة «إنّ» تقنية خطابية يستخدمها المبلّغ لينفذ بها إلى عقل المتلقي وقلبه، ووسيلة إقناعية في تبليغ رسالته.

ومن الأحاديث التي اعتمد فيها على أسلوب التأكيد المعنوي نذكر: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) بمنكبي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» (التّووي، كتاب الأربعين النووية، 2007م).

في هذا الحديث نجد صورة من صور التشبيه النبوي المدرجة ضمن المؤكّدات المعنوية؛ بعدها من أنجع الأساليب الإقناعية التي اعتمدها الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) في خطابه، فهي تملك أن تدعّمها بالقوّة التأثيرية والقدرة البلاغية في الإقناع.

الرؤية الحجاجية لهذا الحديث تتمظهر فيما نلمسه بداية من فعل ما يكون سببا في جذب انتباه المخاطب وحضور قلبه، لقوله (صلى الله عليه وسلّم): «أخذ بمنكبي»، وفي هذا دلالة واضحة على دعوة المتلقي نحو التركيز على مضمون الرسالة، ومن جهة أخرى هي تعبير عن المودة فتلك هي عادته (صلى الله عليه وسلّم) في مؤانسة جلسائه (الصّابوني، دت).

ولقد استهلّ الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) هذا الخطاب بفعل الأمر «كن» وهو فعل طلبي يحمل دلالة الحضور والمباشرة:

حضور المبلّغ + حضور المتلقي = خطاب مباشر.

مؤكّدا على ذلك بتوظيف آلية بيانية في نموذج التشبيه في قوله: «كأنّك غريب أو عابر سبيل» لإقناع المتلقي بمحتوى الرّسالة؛ إذ الحال التي يجدر بالإنسان أن يكون علمها في هذه الدّنيا، هي إمّا الغربة أو السّفر، ومفاد ذلك ألاّ يجعل المسلم من الدّنيا وطناً ومسكناً فيطمئنّ فيها، بل ينبغي عليه أن يكون فيها كأنّه على جناح سفر يتجهزّ الرّحيل ومعه خير الرّاد ليوم الميعاد (العثيمين، شرح الأربعين النووية، 2004م)، وفي هذا السّياق نلاحظ أنّ ارتباط الخصائص الإقناعية للتشبيه

بالمقام المصاحب لها، الأثر العميق في نفسية المتلقي، وتجلّي الرؤية لديه، في التأكيد على أنّ الدّنيا فانية ليست بدار قرار. إنّ توظيف التشبيه كصورة بيانية تؤكّد المعاني المتوخاة من الخطاب بغاية التأثير في نفوس المتلقين، يرتقي بالخطاب من جمالية التعبير وحسن التصوير إلى بلاغة التأثير ونجاعة الإقناع، في ظلّ دعم الواقع لذلك الخطاب بطاقته الحجاجية والإقناعية.

ومما جاء في الخطاب النبوي أسلوب التأكيد بصيغة القسم؛ الذي يعدّ من أساليب الإقناع المدرجة في منظومة المؤكّدات المشهورة التي تمكّن الشّيء في النّفس وتقويه (شحاتة، 1975م)، إذ يعدّ عند بعض الدّارسين من أفضل المؤكّدات (بكري، 1982م) وتختلف صيغ القسم باختلاف أسلوب التّبليغ؛ غير أنّ أجّلها يكون باستعمال لفظة (الله)، ويرد التأكيد بالقسم لكمال الحجّة وتأكيدّها في نفس السّامع بغرض القبول والتأثير، ودوره بأنّ شيئا ما سيتحقق لا محالة، فهو بذلك دحض للشك والريب الذي يحول دون نجاح المبلّغ في تحقيق الأثر الإقناعي في خطابه.

ومن أحاديث الأربعين النووية التي احتوت التأكيد بالقسم ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدّثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، وهو الصّادق المصدوق، قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» (التّووي، كتاب الأربعين النووية، 2007م).

من المنظور الحجاجي يمكن تحليل بنية هذا الخطاب كما يلي:

- جملة (وهو الصّادق المصدوق).
- الأداة إنّ.

فجملة (وهو الصّادق المصدوق) مؤكّدة لقوله: (رسول الله)؛ لأنّ من اعترف بأنّه رسول اقتنع بأنّه صادق مصدوق؛ أي أنّ النّبي (صلى الله عليه وسلّم) صادق فيما أخبر به، ومصدوق

(بين لفظين متقابلين في المعنى حرصا وتأكيذا على الخاتمة الحسنة.....من هنا كان أسلوب القسم في الخطاب «طريق من طرق توكيد الكلام، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم» (بكر، 1991م)، وأسلوب من أساليب التوكيد التي يتخللها البرهان المفحم..» (أمين، 1988م) ، وهذا نظرا لما له من وقع بليغ تَهَيَّزَ له النفوس، وتنقاد له انقيادا، وهذا غاية ما يرمي إليه المرسل؛ أي التأثير في المتلقين، والهدف من استعمال القسم في هذا الحديث تأكيد القول، ولفت أنظار السامعين إلى أهميته ما يقال وأنه جدير بالتفكير، والإصغاء والتنفيذ.

ومن الأحاديث التي نلمس فيها الوجه الحجاجي- الإقناعي الذي يمثله أسلوب التأكيد نذكر ما جاء عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» (التنويري، كتاب الأربعين النبوية، 2007م).

صيغة التأكيد في هذا الحديث النبوي الشريف متمثلة في توظيف الأداة (إنما) التي تعتبر من العوامل الحجاجية التي تفيد القصر، وأداة من أدوات السلم الحجاجي؛ إذ تأتي «إنما» لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه «(البقاعي، 1969م)، وتجدر الإشارة إلى أن الحجج الإقناعية التي تأتي بعد إنما تكون أقوى من الحجج التي تأتي قبلها، ويمكن توضيح ذلك بالقول إن عدم الامتثال لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه يوقع صاحبه في الهلاك، ولعل مدلول لفظ الهلاك أوقع في نفس المتلقي وأقوى تأثيرا ضمن ما يعرف بأسلوب الترغيب والترهيب والتهديد والوعيد.

لذا يمكن القول إن علاقة العامل الحجاجي «إنما» بالخطاب هي علاقة إثبات أكثر مما هي علاقة نفي؛ لأنه يحمل بنية مرتبطة بذات المرسل، فإثبات صفة الهلاك بالأمر السابقة يحمل دلالة التحذير من مخالفة هذه الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم. ونهي واضح عن كثرة السؤال والتشدد ... ومن هنا فقد عملت «إنما» بحضورها في نص الحديث على استقطاب البعد الإقناعي الذي يدل على قوة تأثير لغة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لطالما وقع اختياره على اللفظ الذي يعطي قوة التأثير في نفس المتلقي؛ إذ منح العامل الحجاجي

فيما أوحى إليه « وإنما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه هذه الجملة؛ لأنَّ التحدث عن هذا المقام من أمور الغيب التي تخفى، وليس في ذلك الوقت تقدّم طبّ حتّى يعرف ما يحصل، وهناك ما هو فوق علم الطبّ، وهو كتابة الرزق والأجل والعمل وشقي أو سعيد، فلذلك من فقه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن أتى بهذه الجملة المؤكدة لخبر النبي (صلى الله عليه وسلم)» (العثيمين، شرح الأربعين النبوية، 2004م)، وفي هذا غاية حجاجية وتهئية للمتلقين لقبول ما جاء في الحديث النبوي الشريف والاقتناع به.

ويواصل الخطاب النبوي إيراد المعاني التي توضّح مراحل الخلق، ليتوسّط هذا الخطاب أسلوب إقناعي آخر تجسّد في صورة التأكيد بالقسم « الذي يأتي في مقام التوثيق لما سبق إنكاره أو الإقرار به» (الرحمن ع.، 1971م) من جهة، وقيامه بدور التهيئة النفسية للمخاطب بإثارة انتباهه لما يسخر به، فيستقبله مستجمعا حواسه مركزا فكره وانتباهه إليه (عيسى، 1990م) من جهة أخرى في قوله: (فوالله الذي لا إله غيره)، والقسم بلفظ الله أعلى أنماط القسم وأجلّها، وهو قسم مؤكد بالتوحيد؛ فالقسم يظهر في قوله: (والله)، والتأكيد بالتوحيد يتجلى في قوله: (الذي لا إله غيره)، وفي هذا المقام القسم كان على الخبر الصادق لتأكيد في نفس السامع، ومن ثمة اقتناعه بإعجاز الله عزّ وجلّ في خلقه، وأن كلّ ما يقع فيه الإنسان من تسطير قضاء الله وقدره من شقاء أو سعادة.

وبدورها جاءت صيغة القسم بطابع حجاجي تحمل دلالة تمهيدية لما بعد هذه الصيغة من طرح لقضية أخرى ترنو إلى إقناع المتلقي بأنّه لا ينبغي لأيّ أحد أن يغيّر بظاهر الحال لجهالة العاقبة، وأنّ التوبة تهدم ما قبلها، وأنّ من مات على شيء حكم له به من جنّة أو نار.

ولقد وقع القسم في هذا الخطاب ضمن توليفة مع المؤكّدات المساعدة على كمال الحجّة وتمام الفائدة، ونذكر أداة التأكيد «إنّ» التي وردت بمعدّل مرتين، ممّا جعل موقف المبلّغ المقنع يكون أكثر قوّة، مدعّمة هي الأخرى بدورها من منظور بلاغي تأثري بما وظّف من البديع في صورة الطّباق بوجهيه الزّخرفي والحجاجي، الخادم لقوّة المعنى المراد في ظلّ محاولة إقناع النّاس بما لخواتيم الأعمال من ثواب وأجر عظيم ، في قوله: (الجنّة / النّار)؛ إذ جمع الرّسول (صلى الله عليه وسلم

إنّ مستوى الإقناع والتأثير يأخذ عدّة مسارات انطلاقاً من استراتيجية المبلّغ وأهدافه ومقام إلقاء الخطاب وهو الأمر الذي يعكسه الخطاب النبوي الشريف.

إنّ أسلوب التأكيد في الحديث النبوي أسلوب خطابي ومهمة تتفق مع مهمة التبليغ والتعليم في مجتمع كانت تغلب عليه الأميّة والجهل، فكلّ ما كان يبلّغه النبي (صلى الله عليه وسلّم) كان جديداً يسمعه ويشاهدونه لأول مرة، فكان لابدّ من تأكيد القول من أجل تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة حقّ الأداء، وهذا ما جعل ورود أسلوب التأكيد بمختلف صيغه وبكلّ أنواعه في الحديث النبوي الشريف؛ فأسلوب التأكيد يعدّ من أهمّ الوسائل التبليغية اللغوية التي تترجم فنيّات المبلّغ في بلوغه غاية الإقناع وحمل المتلقين على الإذعان، ورغم اختلاف تلك الفنيّات باختلاف أغراضه ومراميه، ولكنها تؤكّد على كلّ حال أنّ الحجاج لا يعني حشد الحجج، وربط مفاصل الكلام، وتعليق بعضه ببعض الآخر فحسب، بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى التركيب وصيغ الكلمات، وأنواع الصّور، ومصادر التّصوير... اختيارات تراعي غاية الخطاب، وتستجيب لعلاقة المتكلّم بالمتلقي، وتلائم وضع المتلقي ومقتضيات المقام وهذا عينه الذي حرص عليه النبي (صلى الله عليه وسلّم) في مراعاته أحوال المخاطبين أثناء العملية التخاطبية.

وعليه فالحديث النبوي الشريف خطاب تواصلٍ بلاغيّ مبنيّ على استراتيجية لغوية ونفسية محكمة النّسيج، يحقّق جملة من الأهداف تكمن في تحقيق الخير والمنفعة للنّاس جميعاً، وهذا باستعمال الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) لاستراتيجية الإقناع المبنية على الخطاب الحجاجي الذي يشمل عدّة استعمالات تهدف إلى تنويع الأساليب وتجميلها؛ للتأثير في المتلقي، وهذا كلّه يبرهن على الكفاءة اللغوية التّداولية للرّسول (صلى الله عليه وسلّم) التي جعلت من الحديث النبوي الشريف خطاباً تداولياً صالحاً لكلّ زمان ومكان.

إنّما أبعاداً مؤثّرة ساهمت في إذعان المتلقي لها، وفي هذا دعوة صريحة للكفّ عمّا نهى النبي (صلى الله عليه وسلّم) قولاً وفعلًا، وأنّ يمثل للأوامر التي دُعي إليها على وجه الاستطاعة، واجتناب كثرة السّؤال لأنّها سبب الهلاك خاصة ما تعلّق منها بالغيب وكذا الحذر من مخالفة الأنبياء لأنهم من أكرمهم الله - عزّ وجلّ - بحمل رسالته... ويمكن تمثيل ذلك بهذا المسار الحجاجي في الشّكل رقم 02:

- (ن) - الهلاك
- (4ح) - مخالفة الأنبياء
- (3ح) - كثرة السّؤال
- (2ح) - عدم الامتثال للأوامر
- (1ح) - عدم اجتناب النّواهي

فاعتماد المبلّغ على الأداة « إنّما » كان للتأكيد على أنّ أوامر الله عزّ وجلّ ونواهيّه هي حدود لا يتعدّاها المخلوق وإلاّ جنى على نفسه بالهلاك.

ومما سبق يمثّل التأكيد بمختلف صيغه أسلوباً حجاجياً يستند إليه المحاجج ليجعل المتلقي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له في الإقناع.

خاتمة

ومفاد ذلك كلّه أنّ هذا الخطاب صدر عن ذات متكلمة حكيمة، تتوسّل بالصدق في أسر القلوب، وبالحكمة في جذب العقول، وبالإقناع في استمالة النفوس؛ لهذا عدّ التأكيد في الخطاب النبوي قوّة إبلاغية (يعمل على تثبيت الفكرة المزمع إيصالها وضمان إذعان المتلقي لها وتمكينها في نفسه) لما له من أثر إقناعي في تحقيق ما وضع لأجله اللفظ المبين، وكذا تحقيق المنفعة الموصى بها؛ فانتقاء الرّسول (صلى الله عليه وسلّم) لمفردات لغته، ومراعاته للمقامات، لا يخل من مقصدية في التأثير على النفوس، وحملها على الاقتناع.

المراجع

1. ابن رجب الحنبلي. (2000م). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم (الإصدار دط). (عماد زكي، المحرر) المكتبة التوفيقية.
2. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (1323هـ). المفصل (الإصدار 2). بيروت: دار الجيل.
3. أبو بكر العزاوي. (2010م). الخطاب والحجاج (الإصدار دط). لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة.
4. أبو زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي. (1985م). شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. المدينة المنورة: دار المطبوعات الحديثة.
5. أبو زكرياء يحيى بن شرف الدين النووي. (2007م). كتاب الأربعين النووية (الإصدار 4). (أحمد عبد الرزاق بكري، المحرر) القاهرة - مصر: دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة.
6. أبو معاذ ظافر بن حسن آل جبعان. (دت). علم الأربعينات والأربعين النووية (الإصدار دط).
7. أبو معاذ ظافر بن حسن آل جبعان. (دت). علم الأربعينات والأربعين النووية (الإصدار دط).
8. إسماعيل محمد بكر. (1991م). دراسات في علوم القرآن (الإصدار ط1). القاهرة: دار المنار.
9. العبد ابن دقيق. (1403هـ). شرح الأربعين حديثاً النووية (الإصدار دط). بيروت: دار القرآن الكريم.
10. أميمة بدر الدين. التكرار في الحديث النبوي الشريف (الإصدار المجلد: 26 العدد الأول والثاني). دمشق: مجلة جامعة دمشق.
11. باطاهر بن عيسى. (1990م). أساليب الإقناع في القرآن الكريم دراسة تطبيقية لسورة الفرقان رسالة ماجستير. جامعة الأردن: كلية الآداب.
12. برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي. (1969م). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (الإصدار ج: 16). (محمد عبد المعين خان، المحرر) الهند: طبعة مجلس المعارف الإسلامية.
13. بكري أمين. (1988م). التعبير الفني في القرآن الكريم (الإصدار دط). بيروت: دار الشروق.
14. حافظ إسماعيل علوي. (2010م). الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة- الحجاج «حدود وتعريف» (الإصدار ط1 ج: 1). الأردن: عالم الكتب الحديثة.
15. حامد عبد الهادي حسين. (2007م). البلاغة والمعنى في النص القرآني (تفسير أبي السعود أنموذجا) (الإصدار دط). بغداد: مطبعة هيئة إدارة الوقف السني.
16. خالد إسماعيل صاحب. (2010م). الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية (الإصدار مجلد: 5 العدد 01). مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية.
17. سامية دريدي. (2008م). الحجاج في الشعر العربي القديم (الإصدار ط1). لبنان: عالم الكتب الحديث.
18. شيخ أمين بكري. (1982م). التعبير الفني في القرآن (الإصدار 2). بيروت: دار الشروق.
19. صابر الحباشة. (2008م). التداولية والحجاج مداخل ونصوص (الإصدار ط1). صفحات للدراسات والنشر.
20. طه عبد الرحمن. (2000م). أصول الحوار وتجديد علم الكلام (الإصدار 2). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
21. عائشة عبد الرحمن. (1971م). الإعجاز البياني للقرآن. القاهرة: دار المعارف.
22. عبد الله صولة. (2001م). الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية (الإصدار 1). بيروت - لبنان: دار الفارابي.
23. عبد الله محمود شحاتة. (1975م). علوم القرآن والتفسير (الإصدار العدد: 316). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة المكتبة الثقافية.
24. عبد الهادي ظافر الشهري. (2004م). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية (الإصدار 1). لبنان: دار الكتب الجديدة.

25. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي. (1973م). مختار الصّحاح (أكّد) (الإصدار دط). (خاطر محمود، المحرر) مصر: دار المعارف.
26. محمد بن صالح العثيمين. (2004م). شرح الأربعين النووية (الإصدار 3). السّعودية: دار الثّريا للنّشر والتّوزيع.
27. محمد بن صالح العثيمين. (2004م). شرح الأربعين النووية (الإصدار 3). السّعودية: دار الثّريا للنّشر والتّوزيع.
28. محمد سلطان ناظم. (2000م). قواعد وفوائد من الأربعين النووية (الإصدار 7). الرّياض- السّعودية: دار الهجرة للنّشر والتّوزيع.
29. محمد سلطان ناظم. (2000م). قواعد وفوائد من الأربعين النووية (الإصدار 7). الرّياض- السّعودية: دار الهجرة للنّشر والتّوزيع.
30. محمد عبد العزيز الخولي. (2004م). الأدب النبوي (الإصدار 1). بيروت-لبنان: دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع.
31. محمد عبد الله الزّركشي. (1972م). البرهان في علوم القرآن (الإصدار ج 2). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: دار المعرفة.
32. محمد علي الصّابوني. (دت). من كنوز السّنة دراسات أدبية ولغوية في الحديث النبوي (الإصدار دط). مكتبة الغزالي.
33. مسعود صحراوي. (2005م). التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في الثّراث اللّساني (الإصدار 1). بيروت - لبنان: دار الطّليعة للطباعة والنّشر.
34. مصطفى صادق الرّافعي. (2009م). تاريخ آداب العرب (الإصدار ج 2). بيروت: المكتبة العصرية.
35. مصطفى عبد الله حاجي خليفة. (دت). كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون مع هداية العارفين (الإصدار ج: 01). مكتبة المثنى.
36. منير التّريكي. (2002م). آليات تحليل الخطاب السّياسي (الإصدار العدد 132). الحياة الثّقافية.

The Role of Emphatic Expression in Persuasive Discourse: Analytical Models from An-Nawawi, Forty Hadith

Abstract

This article seeks to examine the use of the emphatic style in the Forty Hadith of Imam An-Nawawi (Al-Arba'in An-Nawawiyyah), not merely at the level of formal linguistic structure, but also in terms of its rhetorical and semantic functions. The emphasis in the Hadith of the Prophet is not only an instrument for strengthening expressions or affirming meaning; rather, it is a communicative mechanism equipped with semantic and psychological significance employed to penetrate both the heart and the mind of the listener. Through this mechanism, the aesthetic beauty of discourse intertwines with the effectiveness of persuasion allowing the speech to flow into the listener's soul and, thus, achieving its intended goal. This study also aims to explore the outcomes of this emphatic style through an analysis of selected Hadiths from the Forty Hadith, a collection considered by scholars among the Compendium of Words . This analytical study reveals that emphasis in the Prophetic discourse operates through linguistic and rhetorical devices such as diction, repetition and Oath expressions which all function in harmony to deliver and consolidate meaning in one's heart and mind.

From this perspective, it becomes evident that Prophetic discourse relies on a system of persuasive strategies that combine articulateness and rational argumentation. Emphasis in this case is not an end in itself; however, it is a means to achieve a higher purpose: cultivating awareness, consolidating values and guiding one's conscience towards righteous behaviors. Accordingly, this study clarifies the integration of language and mind in the Hadith of the Prophet and highlights the power held by discourse in guiding the human soul into an absolute belief in the message of the Prophet

Keywords

emphasis
influence
persuasion

Forty Hadith of An-Nawawi

La valeur persuasive de l'affirmation dans le processus de persuasion : modèles tirés du discours des Quarante Hadiths an-Nawawiyya

Résumé

L'article vise à traiter le style de l'affirmation dans le discours « EL Arbaine EL nawaouia » comme phénomène linguistique ayant la capacité d'influencer dépassant même la rhétorique esthétique, il est considéré comme un phénomène linguistique qui contribue dans la formation du discours du prophète et de sa visée persuasive. En effet ce style d'affirmation dans le Hadith du prophète n'est pas seulement un moyen pour renforcer les paroles ou fixer le sens mais un mécanisme de communication ayant un poids significatif et psychique qui permet au discours de s'infiltrer au cerveau et à l'esprit du récepteur en même temps. A travers ce mécanisme la rhétorique prophétique se réalise avec grandeur où se mêlent la beauté de l'expression et l'efficacité de la persuasion ce qui permet d'orienter la pensée et les comportements de l'auditeur. De plus, cette étude tend à découvrir les dimensions d'impact de ce style à travers l'analyse de certains modèles des Hadiths confectionnés par le Imam Al Nawawi dans son livre « Al Arbaine Al Nawawia » et qui sont d'une grande importance car ils contiennent des valeurs islamiques, éducatives qui résument le but de notre religion. Cette étude analytique montre que l'affirmation dans le discours du prophète se base sur un mélange minutieux de moyens linguistiques et rhétoriques tels que la répétition, le serment et les termes d'affirmation qui travaillent en harmonie pour influencer le cerveau et l'esprit. En effet le discours du prophète se base sur une organisation de style de persuasion qui s'appuie sur l'argument et la preuve et qui investit différents styles afin d'orienter les gens vers la religion. Enfin, l'affirmation sollicite une prise de conscience de l'intention du discours à orienter l'être humain vers le bien.

Mots clés

l'affirmation
l'influence
persuasion
discours 40 hadith du prophète
rassemblé par El Nawawi



Competing interests

The author(s) declare no competing interests

تضارب المصالح

يعلن المؤلف (المؤلفون) لا تضارب في المصالح

Author copyright and License agreement

Articles published in the Journal of letters and Social Sciences are published under the Creative Commons of the journal's copyright. All articles are issued under the CC BY NC 4.0 Creative Commons Open Access License).

To see a copy of this license, visit:

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

This license allows the maximum reuse of open access research materials. Thus, users are free to copy, transmit, distribute and adapt (remix) the contributions published in this journal, even for commercial purposes; Provided that the contributions used are credited to their authors, in accordance with a recognized method of writing references.

© The Author(s) 2023

حقوق المؤلف واذن الترخيص

إن المقالات التي تنشر في المجلة تنشر بموجب المشاع الإبداعي بحقوق النشر التي تملكها مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. ويتم إصدار كل المقالات بموجب ترخيص الوصول المفتوح المشاع الإبداعي CC BY NC 4.0.

للاطلاع على نسخة من هذا الترخيص، يمكنكم زيارة الموقع الموالي :

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

إن هذا الترخيص يسمح بإعادة استخدام المواد البحثية المفتوحة الوصول إلى الحد الأقصى. وبالتالي، فإن المعنيين بالاستفادة أحرار في نسخ ونقل وتوزيع وتكييف (إعادة خلط) المساهمات المنشورة في هذه المجلة، وهذا حتى لأغراض تجارية؛ بشرط أن يتم نسب المساهمات المستخدمة من طرفهم إلى مؤلفي هذه المساهمات، وهذا وفقاً لطريقة من الطرق المعترف بها في كتابة المراجع.

© المؤلف (المؤلفون) 2023